

## الفصل الثالث

ملا مصطفى البارزاني وميرحاج في طهران

في طهران، بينما كانت كردستان كالبحر الهائج وكان من شأن أدنى تقصير من جانب المسؤولين السياسيين أو العسكريين أن يلحق أذى كبيراً بالخط العام. في تلك الأثناء ورغم كون الدولة على اطلاع تام بأوضاع البارزانيين وقوة الجيش في تلك المناطق فإنها لم تكن تريد كما هو دأبها حل المشاكل بالعنف طالما يوجد أقل أمل في الحل السلمي. لذا ارتأت استدعاء ملا مصطفى مع اثنين من رفاقه الى طهران للتباحث معهم فاذا كانت مطالبهم معقولة تؤخذ بنظر الاعتبار فهذا يضمن عدم إراقة الدماء و صرف الأموال دون طائل.

أخذ القرار وصدرت تعليمات من أركان الجيش الى قائد الفرقة الرابعة في كردستان لدعوة ملا مصطفى البارزاني الى طهران للتفاوض. فأرسلت قيادة الفرقة الى طهران ملا مصطفى البارزاني وميرحاج وعزت عبدالعزيم بمعية العقيد علي أكبر غفاري. انتهز ملا مصطفى الذي كان يحيط تماماً بأوضاع الجيش الإيراني، الفرصة وأبدى استعدادة لخوض المفاوضات ومناقشة آرائه مع المسؤولين العسكريين. وكانت نية الحكومة هي حل مسألة البارزانيين دون إراقة دماء.

في طهران، ويتوجه من قيادة أركان الجيش، استضيف ممثلو البارزانيين في نادي معسكر الفرقة الأولى في (روضة الشاه) ولقي ملا مصطفى ورفاقه الحفاوة والترحاب، وقدمت أركان الجيش والمسؤولون المفوضون ثلاث مقترحات الى البارزانيين ليختاروا قبول واحد منها:

١- اذا كانت العشيرة البارزانية تريد البقاء في إيران، فعليها تسليم كل ما لديها من سلاح والانتقال من كردستان الى محل تحده الدولة. وتضع الدولة عدداً من القرى المملوكة لها تحت تصرف البارزانيين وتقديم لهم الدولة مساعدات عينية حين تمكنهم من تسيير أمورهم المعاشية ويشعروا بالأمان في ظل عطف الدولة.

٢- توفر الدولة الإيرانية الحماية للبارزانيين المحكومين وتسمح لهم بالبقاء في إيران على أن يغادر الباقون الأراضي الإيرانية فوراً.

٣- في حال عدم قبولهم الخيارين المذكورين أعلاه، فإن على البارزانيين

مغادرة الأراضي الإيرانية حالاً مع عائلاتهم والعودة الى العراق.

لم يتمكن ملا مصطفى من اتخاذ قرار بشأن المقترحات الثلاثة وقال إن مقترحات الدولة الإيرانية هذه يجب التباحث حولها مع بقية زعماء العشيرة واستشارتهم وإنه سيبلغ الحكومة بقرارهم النهائي بعد عودته الى المنطقة. وفي ٢٩ كانون الثاني غادر ملا مصطفى طهران وعاد الى مهاباد وهناك بحث الخيارات التي قدمتها له الحكومة مع بقية زعماء العشيرة. توصلت هذه المباحثات الى الرفض القاطع للمقترحين الأول والثاني وأن بالإمكان قبول المقترح الثالث الذي يقضي بعودة البارزانيين جيمعاً الى العراق. وتقتضي عودة البارزانيين الى العراق أولاً إجتماعهم في أشنويه ثم الإنطلاق الى العراق حسب إقتراح الحكومة الإيرانية. وكانت المهلة التي حددتها الحكومة للبارزانيين تنتهي في ٤ شباط.

وهنا يجب التذكير بأن البارزانيين وبسبب من تجاربهم السابقة ومعاناتهم من خداع القادة السياسيين لمختلف الدول لهم، كانوا يتعاملون بحذر شديد مع المحيط الخارجي. فمثلاً قيل لي عند لقائي مع الشيخ أحمد، كما أسلفت، بأنه ليس هناك بين البارزانيين ضابط إيراني أو أجنبي أو آشوري، بينما أسر منهم بعد عودتهم الى العراق وانسحابهم من إيران أمام زحف الجيش عدد من الضباط الإيرانيين والأشوريين في كل من الأراضي الإيرانية والعراقية. وكانوا وعدوا بأن يسلموا الجيش الإيراني مدفعين ٧٥ جبلي كانا من مخلفات فرقة أذربيجان الديمقراطية لقاء الحصول على كميات من الحنطة من الجيش. لكنهم بعدما حصلوا على ما يريدون من الحنطة والسكر تملصوا من تسليم المدفعين. كما أنه كان ثمّ مستشارون لزعماء العشيرة لا يريدون أية مصالحة بين البارزانيين والحكومة الإيرانية.

من جهة أخرى، لم يكن مقترح البارزانيين محل قبول الحكومة، إذ أنهم كانوا يقولون إنهم يحبون إيران ويريدون أن يكونوا جنوداً لحكومتها لذا فإن من حقهم أن ينقلوا وهم مسلحون الى منطقة في الداخل. من البديهي أن ترفض إيران مثل هذا المقترح فلم يكن ممكناً أن تقبل الدولة العشيرة البارزانية على أرض إيران دون نزع سلاحها.

هناك مسألة تشير التساؤل وهي: لماذا سمحت الحكومة بعودة ملا مصطفى

من طهران الى صفوف عشيرته ليخلق هذه المشكلة بعد أن عرفت حقيقة البارزانيين؟ في البداية يجب أن نذكر أن الكرد القاطنين في المنطقة الممتدة من أشنويه الى آراس يتألفون من قبائل (زَرزا) وجزء من (مامش قادري) يملكون (٣٠٠) قطعة سلاح، والهركي «رشيد بگ ونوري بگ وهم من أشرس العشائريين في المنطقة المحيطة بمرگور» وترگور وهم الذين قتلوا المرحوم المقدم مافي (يملكون (٦٠٠) قطعة سلاح، والشكاك بقيادة إسماعيل آغا سموك يمتلكون (١٥٠٠) قطعة، وجاللي يمتلكون (٢٠٠٠) قطعة سلاح ويقودهم عمر آغا ابن خالد آغا الشهير؛ بهذا يبلغ ما تملك هذه العشائر حوالي (٤٣٠٠) قطعة سلاح. هذا المستوى من التسليح لعشائر أثار كل واحدة منها مشاكل من جانبها كان مصدر قلق. فإن تم احتجاز ملا مصطفى في طهران لكانت هذه العشائر ستعلن العصيان وتفقد الثقة وربما إتحدت مع البارزانيين في جبهة موحدة تقف، اضافة الى الدعم الخارجي، في مواجهة الجيش في جميع أنحاء المنطقة. ولم يكن معلوماً الكلفة التي يجب أن يدفعها الجيش ليفرض سيطرته على هكذا قوة. كانت هذه النتيجة المتوقعة لإعتقال ملا مصطفى ورفاقه في طهران، أي أنه كان على الجيش التورط في مواجهة أناس أقوياء لقاء اعتقال ثلاثة أو أربعة أشخاص. وكانت النتائج الأخلاقية لمثل هذا الإجراء ستعكس سلباً على مسؤولي الجيش الشاهنشاهي وستكون له إنعكاسات أبدية عند العشائر والقبائل الإيرانية وتجعل الجميع يفقدون الثقة بكل أقوال وأفعال الدولة.

تأكد ذلك بصورة خاصة عندما تم الاستيلاء على دفتر مذكرات ميرحاج في منطقة (قره قوين) فقد ورد في ذلك الدفتر أن ملا مصطفى في آخر لقاء مع الشيخ أحمد عندما افترقا وتوجه الى بارزان في العراق ليطلب من الحكومة العراقية إصدار عفو عام يصفح بموجبه عنهم مقابل إلقاء أسلحتهم، لكن الحكومة العراقية رفضت ذلك وطالبت بالاستسلام غير المشروط. ولأن الحكومة العراقية لم تكن تريد أن تعفو عن ملا مصطفى فإنها لم تكن تريد أن تعدده بشيء ثم تتراجع عن وعداها.

لم يعتبر الجيش الشاهنشاهي ولا الحكومة الإيرانية هذا الإجراء إجراءً عملياً جديداً بالإهتمام، ففي بلد يتكون ثلثه من العشائر والقبائل تواجه

الحكومة باستمرار مثل هذه المسائل يجب أن تُحترم إجراءات وأقوال الدولة. كما أن إيران لم تجن من نقض العهود هذا شيئاً. فقد رأينا أنه لما نقض العميد السابق عباس البورز عهده لعشيرة (كوهك) بعدما أقسم لهم على المصحف أن لا يسهم بسوء لكنه اعتقل عدداً منهم وأعدمهم الحياة، نجم عن ذلك قتل في كل بلوجستان دامت ثلاث عشرة سنة وأنفقت الدولة أموالاً طائلة في العمليات العسكرية ونقل وحدات الجيش بهدف السيطرة على البلوج وتهديتهم.

لهذه الأسباب وعندما لم يصرح ملا مصطفى في طهران برأي قاطع بشأن المقترحات أبلغته رئاسة أركان الجيش في مقرها بهذا: «ملا مصطفى، سواء قبلتم شروطنا أم لا فإننا سنعيدكم سالمين الى عشيرتكم. فإن قبلتم فهذا حسن، وان رفضتم فسنقاتلكم ونبيدكم».

وكما نرى فقد كانت قرارات وزارة الحرب مدعومة بأسباب قوية. ومن هذا المنطلق ومن التعامل الحكومي الصريح مع ملا مصطفى، كان من المتوقع أن يختار البارزانيون ثالث المقترحات، وحسب تعهداتهم في طهران ومهاباد، كان عليهم مغادرة الأراضي الإيرانية دون قتال، لكن كانت هناك سياسة أخرى لا تريد للبارزانيين مغادرة الأراضي الإيرانية بسلام، كانت تلك سياسة القاضي محمد رئيس جمعية كردستان ورئيس جمهورية كردستان. وبينما كان القاضي محمد في السجن حافظ أتباعه على علاقاتهم مع البارزانيين، وعلى أمل إنقاذ القاضي محمد كانوا يحثون البارزانيين على المقاومة والقتال. وفي مواجهة هؤلاء المعارضين وجد مسؤولو الجيش في طهران ونَعْدَه، وخاصة العقيد غفاري في أشنويه، أنفسهم مضطرين لحوض صراع شديد.

نشاطات مؤيدي القاضي محمد والعلاقة بينهم وبين البارزانيين ووجود أناس يعادون السلام في الدولة وفي صفوف البارزانيين، كانت سبباً يجعل أي قرار خطي أو شفوي بالاتفاق مع شيوخ بارزان في أشنويه يصدر اليوم ويموت في الغد. فبعد سلسلة اللقاءات مع الشيخ أحمد وملا مصطفى، وبعد أن تبين لقادة الجيش في كردستان وطهران أنه ليس في نية البارزانيين أبداً تنفيذ قرارات الحكومة الإيرانية، جدد قادة الجيش إنذارهم لرؤساء عشيرة بارزان بالتوقف عن تصرفاتهم وتخييرهم بين إلقاء السلاح أو مغادرة إيران.

في الوقت ذاته، أمرت قيادة الأركان قائد قوة كردستان، وأبلغته بأن الحرب مع البارزانيين باتت وشيكة، وأن رؤساء العشيرة المذكورة يحاولون استدراج الجيش الإيراني إلى المناطق الجبلية الوعرة ليهاجموا في أيام اشتداد البرد وسوء الأحوال الجوية، لذا من المستحسن الإسراع في اتخاذ قرار حصار البارزانيين وتضييق الخناق عليهم إلى أقصى حد مع تقليص مساحة المعركة بغية تحقيق ما يلي:

أولاً: حماية السكان الآمنين عند إندلاع القتال وتقليل الخسائر بينهم.  
ثانياً: تسهيل مهمة الجيش من خلال تضييق جبهة القتال.

في ٤ شباط، انتهت المهلة التي كان الجيش قد حددها للبارزانيين، وأصدرت هيئة أركان الجيش تعليماتها إلى الفرقة الرابعة في كردستان بإخطار زعماء العشيرة البارزانية أن يبادروا وبسرعة إلى مغادرة الأراضي الإيرانية أو يستعدوا للمواجهة. بالمقابل لجأ البارزانيون إلى التاكتيك عينه، فتحركوا بعائلاتهم التي كانت تسكن في نَعْدَه، وقلابي پَسوي، وصوفيان، وجلديان وحدود خانة باتجاه أشنويه، وظهرت بين رجال العشيرة الرغبة في الرحيل والتوجه نحو الحدود العراقية تاركين الأراضي الإيرانية.

أسفرت جهود مسؤولي الجيش والمعلومات التي كانت ترد قيادة الفرقة الرابعة عن تحركات البارزانيين، عن شك وقلق كبيرين. إذ أفادت المعلومات الإستخبارية أنه على عكس ما كان متوقعاً فإن رحيل البارزانيين بطيء جداً أولاً، وثانياً أن زعماء العشيرة شرعوا في إجراء غريب بالاتصال سراً برؤساء عشيرتي هركي وشكاك وأشخاص مثل زيرو وطه وقبائل دشتبيل التي لازالت مسلحة واضطروهم إلى الشروع في أعمال معادية لقوات الدولة في كل مكان. وبسبب من الاستعداد وبعد النظر الذي تمتعت به قيادة قوة كردستان كانت قيادة أركان الجيش مطلعة على كل نامة تصدر عن زعماء هذه العشيرة وكل تغيير يطرأ على حالهم. أصدرت في ١٣ شباط أمراً إلى قادة الفرقتين الثالثة والرابعة وأمر لواء أورميه (قائد الفرقة زرابي، وقائد الفرقة هُمابوني، والعميد زنگنه) لتنفيذ قرار الحكومة بالمبادرة واتخاذ ما يلزم لنزع أسلحة العشائر الكردية في شمال وجنوب أورميه والبارزانيين الراحلين إلى الأراضي العراقية. ولكي تكون القوات المذكورة مهيأة لمواجهة أي طارئ، تم توجيه

وحدات من قوات كردستان سنذكرها مع قادتها فيما يلي لكي تستقر في نقاط تم تحديدها بحلول السابع عشر من شباط.

لم يتطرق الجزء الأول من هذا الكتاب إلى المسائل التعبوية، واليوم بعد مرور ثلاث سنوات على تلك الأحداث ليس ثم ضرر عسكري أو سياسي يمنع ذلك. بل أن ذكرها إحياء وتخليد لتضحيات ضباط وجنود شاركوا في عمليات تلك الوحدات لذا سنذكر ذلك بالتفصيل.

في مبداء الأحداث، كانت وحدات العمليات ومهام كل وحدة على النحو الآتي:

١- وحدة في بالانش يقودها العميد زنگنه، تتألف من السريتين ١ و ٢ من فوج بهادر مع سرية من فوج آهن وبطرية مدفع ٧٥، وسرية هاون، وفصيل من الخيالة من فوج فوزية، ومدفعتين من الفرقة الأولى مع جهاز لاسلكي. كان هدف الوحدة التوجه إلى مضيق قاسملو واحتلال آقبلاغ والقضاء على زيرو وطه وكذلك قطع الإتصال بين البارزانيين وأتباع كل من زيرو وطه.

٢- وحدة في مهاباد يقودها العقيد أنصاري، تتألف من سريتي مشاة وبطرية مدفع ٧٥ ورتل هاون وسرية من خيالة لرستان ومدفعتين (في حسنلو). كان الهدف إحتلال نَعْدَه وارغام البارزانيين على الجلاء عن منطقة نغده وأطراف أشنويه والحدود العراقية.

٣- وحدة في مهاباد يقودها الرائد كلاشي، تتألف من سرية المشاة الأولى من فوج همدان، وبطرية مدفع ٧٥، ومدفعي هاون. والهدف إحتلال قلبي پَسوي وترحيل البارزانيين من منطقة گرده سبيان باتجاه أشنويه والحدود وتسهيل مهمة وحدة العقيد أنصاري.

٤- الوحدة العشائرية في حدود منطقة خانة «تتألف من عشيرتي منگور ومامش» يقودها الملازم نوبهار ومنطقة پيران (بادين آوا). هدفها إرغام البارزانيين على الإنسحاب باتجاه شمال خانة وأشنويه والحدود الإيرانية العراقية.

٥- وحدة في مهاباد، تتألف من ثلاث سرايا مشاة وبطرية مدفع ٧٥ ووحدة من الخيالة ورتل من حَمَلَة الأسلحة الآلية ومدفعتين متوسطتي الحجم وأربع مدرعات خفيفة وفوج خيالة فوزية (في كوسِي كاريز). وهدفها

تشكيل قوة إحتياطية للقيادة.

٦- فريق جوي، يتألف من سبع طائرات من طراز (هاينه) واثنين من طراز (تايجر مونس) تحت إمرة قائد القوة.

بعد تشكيل الوحدات وتعيين قادتها ومهامها، وبغية توحيد جهود هذه الوحدات أصدرت قيادة الأركان تعليماتها الى قائد قوات كردستان على النحو التالي:

أولاً: يتولى اللواء هُمانيون الإشراف على، وتوجيه مهام كافة الوحدات.

ثانياً: تسبق وحدة العميد زنگنه بقية الوحدات في المباشرة في تنفيذ مهمتها بهدف منع البارزانيين من الإتصال بزيرو وطه والهركية، والقضاء على هذين وأتباعهما قبل وصول البارزانيين لنجدتهم وجعل المناطق الشمالية القريبة من أورميه ساحة للمعارك.

في ٢١ شباط، أعلنت قيادة أركان الجيش قيادة الفرقة الرابعة وقوة كردستان بأنها وبموجب المعلومات التي توفرت لديها عن تحركات البارزانيين تبين لها أن هؤلاء قرروا، بخلاف ما تعهدوا به، مواجهة القوات الإيرانية واستدراج الجيش الإيراني بأية وسيلة ممكنة الى المناطق الجبلية الوعرة. بعد ورود هذه المعلومات التقى اللواء هُمانيون والعقيد غفاري مع الشيخ أحمد وملا مصطفى في نغده، وتباحثوا معاً حول التعهد الذي قدمه البارزانيون. إنتهى ذلك اللقاء بنجاح هام. فرغم الظروف الحرجة ووجود تحريض على التخريب، خاصة وأن الضباط البارزانيين الذين كانوا قد خدموا في الجيش العراقي وصدرت بحقهم أحكام بالإعدام لم يكونوا يريدون العودة الى بلدهم ويأملون أن يكون ذلك اللقاء عقيماً. وكادت تقع حادثة أليمة. إلا أن تشبث قائد الفرقة بالحكمة حقق نتائج جيدة ووافق البارزانيون على إخلاء نغده وگرده سيبان ومناطق عشيرة پيران ومامش والإسراع في التوجه الى منطقة سكدوز وأشنويه.

نفذ البارزانيون ما وعدوا به في اللقاء، وفي اليوم التالي تمكنت قوات الجيش من التمرکز في نغده وهي منطقة هامة للغاية. كما إحتل الجنود منطقة لاهيجان كلها وتم أيضاً تحرير طريق خانة المعبد، الذي يؤدي الى العراق. كان السبب الذي جعل البارزانيين يوفون بوعدهم هذه المرة هو أنهم كانوا يرون

وحدات الجيش المستعدة للقتال رأي العين ويعلمون أنها ستضربهم لأقل تحرك مشبوه.

هناك نقطة لا يمكن إغفالها وهي أن ممثل الفرقة الرابعة طوال فترة بقائه في أشنويه كان يبذل كل وسعه لحمل البارزانيين على عدم سلوك طريق مرگور عبر مناطق الهركي والمناطق الكردية الشمالية، وأن يذهبوا الى لاهيجان. كان هذا قد أثر في البداية الى حد ما في ملا مصطفى ووجهه نحو لاهيجان لكن كانت ثم عوامل خارجية تؤثر في البارزانيين منعت نجاح هذا المسعى. فلو توجه البارزانيون جنوباً، وليس شمالاً، وعشائر الجنوب (مامش أمير عشائري) و(منگور) لاتتفق معهم أبداً، لوقع البارزانيون عند الحدود العراقية وفي موقع لا يلائمهم في فخ لا فكك منه. إلا أن التحريض الخارجي أسفر عن مصرع عدد من زعماء مامش على أيدي البارزانيين وبصورة مفاجئة مما دفع هذه العشيرة الى تغيير وجهتها نهائياً نحو الشمال. فأتناء مسيرة العشيرة البارزانية في منطقة پيران وقعت في (قلاي پسوي) مشادة بين زعماء مامش والبارزانيين، وتمكن البارزانيون من أسر اثنين من بگزادة مامش مع أسلحتهم وخيلهما واقتادوهما الى قلاي پسوي.

المحادثات التي أجراها العقيد غفاري، ممثلاً عن الفرقة، مع البارزانيين أسفرت عن استعادة التجهيزات التي كانت الفرقة قد خسرتها. إنتهز ملا مصطفى بدء هذه المحادثات وبحجة إفتقار العائلات البارزانية وحاجتها الماسة الى الغذاء وكون طريق العبور الى الجهة العراقية من الحدود مغلقاً طلب ان تزودهم الدولة بكمية من المواد الغذائية وتهيئة السبيل لهم للعودة الى العراق. كان ملا مصطفى قد رسم طريقين للخروج من الأراضي الإيرانية الى العراق:

١- طريق (بينار) المار عبر الأراضي التركية وقد أفاد منه البارزانيون في قدومهم الى إيران.

٢- طريق خانة المعبد الذي ينتهي الى (پير أومران)<sup>(١٤)</sup>.

وبسبب من مخاوف البارزانيين من شرور الأتراك فإنهم لم يكونوا يحبذون

(١٤) ربما يقصد (حاجي عمران).

سلوك طريق بينار كما أن طبقة سميكة من الثلج كانت تغطي الطريق مما كان سيضطر الرجال الى شق الطريق عبر الثلوج تمهيداً لمرور العائلات. كما لم يكن البارزانيون يجذبون سلوك طريق خانه المعبد فهو أطول من اللازم مما سيعرضهم لإعتداءات وتحرشات النقاط العسكرية العراقية. ولما لم يروا سلوك أي من هذين الطريقين فقد توجهوا الى وادي (كادر) المعروف ليعودوا الى العراق من ثم.

في هذه الأثناء كان البارزانيون يتحدثون عن المفاوضات ويواصلون الاتصالات مع مسؤولي الجيش من جهة، ومن الجهة الأخرى كان يتخذون استعداداتهم لمواجهة الجيش. وبحلول ٢٥ شباط كانت وحدات كردستان في المنطقة قد تمكنت من التمرکز في نَعْدَه وتمركزت وحدة الرائد كلاشي في كرده سيبان دون أن تخوض مواجهات مع البارزانيين. ورغم أن المعارك لم تكن قد بدأت في المناطق الجنوبية إلا أن قوات العميد زنگنه كانت قد باشرت عملياتها ضد العشائر المعادية للدولة. ومع أن قوات الدولة لم تواجه قوات البارزانيين في هذه العمليات الأولية فإن العمليات كانت ذات صلة بهذه العشيرة إذ كانت خطة أركان الجيش ترمي الى حصار البارزانيين وقطع سبل الإتصال بينهم وبين العشائر المشيرة للشغب ولهذا سنروي باختصار سير العملية التي تمت في وادي قاسمليو لقطع الطريق على هذه العشائر ومنع إتصالها بالبارزانيين:

في ١٧-٢١ شباط تحركت وحدة العقيد زنگنه من أورميه بسيارات شحن، وتمكنت من نشر قواتها في كل من (بالانش) التي تعد بوابة وادي بارانديز، وفي (شعبان كندي) و(دزي) ورافق الوحدة (٥٠) من رجال عشائر المنطقة وحماة الوطن<sup>(١٥)</sup> ليشاركوا في المواجهات كفدائين.

في الساعة (٧) من صباح ٢١ شباط شهدت الوحدة أولى معاركها فعندما توجه فوج مشاة ومصفحتان حربيتان من بالانش الى قرية (كوكي) بهدف احتلالها، وهي قرية تقع على مسافة كيلومترين جنوب نقطة انطلاق القوة كان رجال زيرو وطه هرکي يختبئون بها منذ أيام.

(١٥) «حماة الوطن» هؤلاء الذين يتحدث عنهم الكاتب هم الجحوش.

مع اقتراب القوة الحكومية من القرية، تعرضت الى نار كثيفة ونجم عن ذلك مواجهة شديدة استمرت حتى انتصاف النهار، وبعد مقتل عدد من المسلحين وجرح ستة جنود نظاميين وواحد غير نظامي<sup>(١٦)</sup> تم احتلال قرى كوكي وأوزان وتومانبه وقلاچم ومحمودآوا وتوجهت الوحدة الى عمق وادي قاسمليو. ورغم تخندق رجال زيرو وطه هرکي على مسافات متقاربة بهدف الدفاع عن مواقعهم وقدرتهم على مواجهة عملية مكثفة من جانب قوات الدولة بكل جرأة وبمسالة فقد تمكن العقيد زنگنه بالتضحية بسبعة وعشرين من أفراد قوته (١٥ قتيلاً و١٢ جريحاً) من احتلال كل المرتفعات المشرفة على وادي قاسمليو. ويذكر أنه في المرحلة الثانية من هذه العملية استشهد أكثر من جنديين نظاميين وثلاثة من غير النظاميين كما جرح فيها عشرة.

في ٢٣ شباط وبهدف ملاحقة المسلحين، أو استطلاع خنادقهم، شن فوج مشاة بكامل عدده وعدته هجوماً باتجاه نهايات وادي قاسمليو وتقدمت طلائع الفوج المهاجم حتى بلغت قرية سيلوانا ورغم المقاومة العنيفة التي أبداها رجال العشائر فقد تمكن الفوج المهاجم من احتلال قرى شيرين كندي، ومحمد رحيم كندي. لكن بسبب وعورة الوادي وصعوبة خوض مجاهله وكون المسلحين متحصنين في أماكن صعبة المنال صدرت تعليمات الى الفوج بالتوقف عن الحركة لحين تمكن أجنحته من التقدم واقتلاع العشائر من مكانها في المرتفعات. وكذلك صدرت تعليمات الى الفوج بالمحافظة على المرتفعات التي تسيطر عليها الوحدة ومراقبة تحركات زيرو وطه. وتبين خلال هذه العملية التعاون بين زيرو ورجالة من جهة والبارزانيين من الجهة الثانية للتصدي للقوات الحكومية حتى الرمي الأخير.

على أية حال كانت لعملية هذه الوحدة في وادي قاسمليو وهزيمة زيرو وطه في أورميه آثارها فقد بثت الخوف في قلوب الكرد الذين كانوا الى وقت قريب يفكرون في التصدي للحكومة والانضمام الى البيشمركة، فقد جاء رؤساؤهم من قبيل محمد حسين حاتمي، وقادر بگ رسوللي، وسيد فهيم، ورشيد بگ جهانگيري الى قائد الوحدة وأعلنوا ولائهم للدولة وسلموا أسلحتهم. وفي اليوم نفسه، وبهدف إجتناد من بقي من العشائر، وخوفاً من

(١٦) النظاميون هم الجنود العاديون، أما غير النظاميين فهم الجحوش.

أن يؤدي عقابهم الى دفعهم الى صفوف المسلحين، أسقطت الطائرات الإعلان التالي على مناطق كردستان:

### إعلان

«نعلم كافة سكان وعشائر كردستان بما يأتي:

بغية ترسيخ الأمن والسلام في أنحاء منطقة كردستان، بدأ الجيش عمليات حفظ الأمن والنظام. لذا ننبه أهالي وعشائر كردستان الى أن على كل من حصل على قطعة سلاح أو أية ذخائر أو معدات من الديمقراطي الكردستاني، تسليم ما بحوزته الى القائد العسكري في مدينة مهاباد وأرميه في مدة ثلاثة أيام لسكان المدن وأسبوع واحد لمن يسكن خارج المدن.

لقد أظهرت التجارب والدراسات أن العشائر الوطنية على الحدود هي عناصر هامة لحماية الأمن والاستقرار على الحدود وإذا كانت تمتلك من الأسلحة ما يفي بالحاجة فإن باستطاعتها أداء هذه المهمة وحماية الحدود في مناطقها، لكن يجب على العشائر التي تسلمت أسلحة من الديمقراطي الكردستاني الإبقاء عليها لدى عشائر منگور ومامش وگورك والعشائر الحدودية الأخرى على أن يتم تسجيلها والحصول على رخصة استخدامها من أركان قوات كردستان في مهاباد لكي تؤدي واجب حماية الحدود وتشكيل قوات حماية الحدود من تلك العشائر وعلى رؤساء العشائر تزويدنا خلال فترة أسبوع واحد بالأسماء الكاملة لحائزي الأسلحة ونوع ورقم السلاح وعدد الإطلاقات التي هي بحوزة كل واحد من أولئك لتنظيم الرخص والبطاقات اللازمة لهم. وبشأن العشائر القريبة مثل ديبوكري وفضل الله بگي وشارويران والعشائر القاطنة في المدن فإن عليهم مراجعة أركان القوات لتخصص لهم الأسلحة اللازمة لدفع اللصوص والسراق عنهم وعليهم خلال فترة اسبوع أيضاً تقديم المعلومات المذكورة أعلاه وتسليم ما تبقى لديهم من أسلحة. وعلى رؤساء هذه العشائر الإسراع في تسليم أسلحة أفراد عشائرتهم الى أركان القوات التي هي صاحبة القرار.

ختاماً نؤكد أن كل المعاملات التي جرت بشأن الأسلحة والأعتدة منذ قدوم قوات كردستان، يجب أن تلغى وأن تعاد تلك الأسلحة. واعتباراً من هذا التاريخ فإن من يتعاطى مثل هذه المعاملات أو ينقل أسلحة الى خارج الحدود سيقدم الى المحكمة الميدانية العسكرية المؤقتة. وبناءً على ما تقدم فإن من لا يسلم السلاح بعد انتهاء المهلة المحددة أو يتخلف عن تنفيذ ما جاء في هذا البلاغ ولا يحصل على رخصة سيقدم الى المحكمة العسكرية المؤقتة.»

\*\*\*

في تلك الأيام تبين مسؤولو الجيش أن نية البارزانيين قد إستقرت على الحيلة والمماطلة ليباغتوا الجيش الإيراني بهجوم. ففي محادثاتهم مع قائد الفرقة الرابعة كانوا يتحدثون عن عودتهم الى العراق ويطلبون الطعام والمؤن وينقلون عائلاتهم من هنا الى هناك متظاهرين بأنهم ينوون مغادرة إيران بينما كانوا في السر يتصلون بعشائر مرگور وترگور ودشتبيل لتنظيم صفوفهم ودفن تلك العشائر للوقوف في وجه قوات الجيش، وارسال عائلاتهم الى مناطق مرگور وترگور الغنية التي هي أفضل المناطق من جهة وفرة الغذاء ولوازم الحياة. وتأكدت صحة هذا التخمين في ٢١ شباط عندما أفادت وحدة إستخبارات الجيش أن عائلات البارزانيين توجهت نحو ترگور وأنه كان من بين أفراد العشيرة الأخيرة من لا يرتاح لقدوم العائلات البارزانية الى أرضهم فأسرعوا الى مقرات الجيش للابلاغ عن تحركات البارزانيين معلنين عدم إرتياحهم لها. كانت أركان الجيش على دراية بهذه الفعاليات والإجراءات فأصدرت تعليماتها الى قائد الفرقة في ٢ آذار ليكتب الرسالة التالية ويوجهها الى ملا مصطفى:

«ملا مصطفى البارزاني!

إن تحركاتكم تخالف ما قلتم في طهران. فإضافة الى عدم مغادرتكم الأراضي الإيرانية وعدم تسليم الضباط الغفارين والمدافع الإيرانية فإنكم توجهتم الى مناطق ترگور ومرگور ودشتبيل الغنية. يجب عليكم مغادرة الأراضي الإيرانية بأسرع وقت.»

من جهة أخرى. أبلغ قائد الفرقة أن تصرفات البارزانيين بينت أنهم لم يكونوا ينوون مغادرة إيران ويتذرعون بانسداد الطرق بالثلج لذا فإنهم قد يتجهون صوب أورميه لذا صدرت تعليمات الى قائد الفرقة بنقل مقر أركان قوات كردستان الى أورميه القريبة من ساحة عمليات وحدات الشمال والتي يعد موقعها أكثر أهمية واتخاذ مقر له هناك. ومن الجهة الأخرى كان الإفتقار الى مطار يعتبر عاملاً معرقلاً لعمل طائرات الجيش «التي لم تكن طويلة المدى» وتوفيرها الحماية للقوات البرية لذا جرى التفكير في إنشاء مطار للإفادة منه في هذا المجال.

في ٥ آذار ترسخت لدى مسؤولي الجيش فكرة تحرك البارزانيين باتجاه الشمال بعد ورود تقارير دقيقة تفيد ذلك وتروي كيف أن ملا مصطفى وصل مساء ٤ آذار الى (موانا) وهي قرية كبيرة غرب أورميه وتعد موقعا ذا أهمية عسكرية. وهناك بدأ ملا مصطفى محادثات مع رؤساء عشائر هركي وشكاك، وزيرو بهادري وطه بگ، ورؤساء قبائل ترگور و مرگور ودشتبيل وعقد إجتماعاً هاماً مع هؤلاء في دار رشيد بگ نوري قال فيه ملا مصطفى لرؤساء العشائر: «إن طريق الخروج من إيران الى العراق قد أغلق بالثلج والعوارض، ومن جهة أخرى نفذ ما عندنا من مؤن والدولة ترفض مساعدتنا لذا جئناكم نطلب المؤن والطعام لحين حلول الربيع وسنكون ضيوفكم حتى نهاية الشتاء». بعد أن بلغ العقيد زنگنه قرار البارزانيين والعشائر المتمردة باشر الاستعداد تحسباً لأي حدث سيء. وفي الوقت عينه أبلغ أمر الوحدة من العقيد زنگنه أنه بسبب توجه البارزانيين شمالاً فليس مستبعداً شن هجوم مباغت على وادي بارانديز وباحتلال هذه المنطقة ستكون وحدة العمليات بوادي قاسملو ومدينة أورميه في خطر. ولهذا طالب أمر الوحدة بتعزيز الجناح الأيمن لوحده وتوفير قوات اضافية بأية طريقة ووضعها تحت تصرفه. في ٦ آذار وصلت أورميه وحدة مؤلفة من فصيل مشاة تابع لفوج بهرامي السادس وبطرية مدفع ٧٥ وبطرية هاون من وحدات فرقة تبريز يقودها العقيد سردادور لتعزز القوات المرابطة في المدينة وحولها.

خلال تلك الأيام الخمسة عشر إتضح لأركان جيش كردستان أن البارزانيين يتجهون شمالاً وأنهم لا يريدون بأي شكل كان مغادرة الأراضي الإيرانية. وبعد

أن تلقى قائد الفرقة الرابعة التعليمات اللازمة من طهران بشأن الوضع عرف نية البارزانيين لذا توجه في ٧ آذار الى أورميه بهدف قطع الإتصال بين البارزانيين والعشائر المحيطة بأورميه بأي ثمن وقطع طريق إثارة المواجهات عليهم. ولتحقيق هذه الغاية نقل مقر قيادة أركان قوات كردستان من مهاباد الى أورميه واتخذ العقيد فيوضي رئيس الأركان المعني من أورميه مقراً بهدف التنفيذ الأمثل لتعليمات قائد الفرقة وأركان الجيش. ولمنع تقدم البارزانيين شمالاً وحسب الظروف المتعلقة بطبيعة الأراضي المحيطة بأورميه<sup>(١٧)</sup> قررت أركان قوات كردستان الآتي:

سد الطريق على توجه البارزانيين شمالاً في آخر وديان أورميه (وادي أنهور جاي الشهير) ولتحقيق ذلك إنطلقت في ١٢ آذار وحدة بقيادة العقيد نساري مؤلفة من سريتي مشاة (السرية الثانية- فوج آهن، والسرية السادسة آزرياد) ومدفع ٧٥ ورتل هاون ومصفحة وفصيل خيالة من أورميه باتجاه وادي أنهور جاي ومرتفعات (لرني) بهدف إحتلال (موانا). كانت مهمة وحدة وادي قاسملو السيطرة على المرتفعات المحيطة بالوادي وارسال عيون لجلب الأخبار وتتبعها. في ١٠ آذار أرسل عدد من مسلحي المنطقة رفقة اثنين من الجندرمة لتقصي الأخبار وسلوكوا طريق (شعبان كندي) الى حصار آقبلاغ (في وادي بارانديز) وتعرض هؤلاء في شمال غرب وجنوب شرق شعبان كندي الى إطلاق نار كثيف من المسلحين مما أسفر عن إصابة نائب الضابط الجندرمة «فخري آذري» بجراح خطيرة ومقتل اثنين من المسلحين المحليين كما أصيب خمسة من هؤلاء بجراح. وعلى الفور تم إرسال مجموعة أخرى بواسطة السيارات لنجدة أولئك فانسحب المهاجمون وغابوا عن الأنظار.

بالأخير ظهر أن المهاجمين كانوا من أتباع محمد حسين ومحمد أمين هركي جاؤا من مرگور وخاضوا المواجهة مع الجيش بناءً على تعليمات من

(١٧) طبيعة الأرض المحيطة بأورميه هي أن المدينة تحدها من الشرق بحيرة أورمية ومن الغرب سلسلة جبال وعرة فيها أربع مسالك للمرور أحدها من الشمال الى الجنوب ويعرف بوادي قاسملو والثلاثة الأخرى هي من الشرق الى الغرب وهي: وادي أنهور جاي، ووادي دربند، ووادي بارانديز، ويمكن القول أن هذه المسالك إجبارية ينبغي على المرء المرور بها إن أراد الوصول الى المرتفعات المشرفة على الحدود. (المؤلف).

البارزانيين. وأظهر هذا الحادث أن البارزانيين أرغموا عشائر المنطقة على مواجهة قوات الجيش، لذا صدرت تعليمات الى القوات المتواجدة في نَعْدَه وصوفيان وجلديان بإتجاه أشنويه والإسراع باحتلال أشنويه وأقبلاغ لكي تتمكن وحدة وادي قاسملو المتواجدة في مرتفعات (كوكي) من التقدم بإتجاه الجنوب ونجدة الوحدات القادمة من أشنويه وتمكينها من السيطرة على أقبلاغ.

## الفصل الرابع

انتشار الجيش في مناطق كردستان

## من ١٢ آذار حتى المواجهة الرئيسية

لتوضيح الصورة التي كانت عليها المواجهات الحاصية بين الجيش والبارزانيين في أواسط آذار ينبغي معرفة توزيع وحدات الجيش في تلك الفترة وفي مختلف المناطق، وقد كانت كالآتي:

### أ- وحدات الشمال:

- ١- وحدة وادي قاسملو وهي مؤلفة من الفوجين الأول والثاني بهادر، وبطرية مدفعية ومدرعة وفصيلين من الجندرية. كان الفوج الأول قد إستقر في (كوكي) الثاني معزراً بالمدفعية والمدرعة و١٢٠ من المسلحين العشائريين (زارگلي) لاحتلال مضيق بارانديز. يقودها العقيد فولادوند مباشرة.
- ٢- لغرض إستطلاع وادي دريند (يقع شمال بارانديز وينتهي بمدينة أورميه) أرسل الي زارگلي فوج مع فصائل رشاشات برين وعدد من المسلحين العشائريين ومدرعة تابعة للجندرية.
- ٣- وحدة العقيد نساري وتتألف من فوجي مشاة، وبطرية مدفع ٧٥، ومدرعتين، ورتل هاون، وسرية من خيالة فوزية، وفصيل برين تقدمت من أورميه بإتجاه موانا (مركز منطقة ترگور) لاحتلالها.
- ٤- بقي في أورميه فوج مشاة وسريتان ورتلا برين من فوج خيالة فوزية، وبطرية مدفع ٣٧ كقوة احتياط لوحدة الشمال.

### أوضاع وحدات الجنوب

- ١- في تازه كند: فوج مشاة مع بطرية مدفعية ومدرعة.
- ٢- في قلاجوق: فوج خيالة لرستان مع هاون.
- ٣- في صوفيان: سرية من فوج همدان ورتل من حملة الأسلحة الأوتوماتيكية ومائة من الفرسان المحليين (مامش ومنگور).
- ٤- في قورجي: ثلاثمائة من الفرسان المحليين (مامش ومنگور).
- ٥- في شين آوا: سرية من فوج همدان ورتل برين.
- ٦- في غرده سيبان: سرية من مشاة همدان ورتل برين.

٧- في نغده: فوج مع أقل من سرية تابعة للواء كرمشاه، ورتل مدفع ٧٥، وبطرية ١٠٥ قصير وثلاث مدرعات.

٨- في مهاباد: سريتا مشاة والفوج الرابع من خيالة لرستان وأقل من سرية خيالة وبطرية ٧٥ ورتل ٧٥ ومدرعتان كقوة سيارة احتياطية لإسناد وحدات الجنوب.

وكما جرى التفكير فيه من قبل، كان من الضروري وبأي ثمن أن تكون عمليات الطائرات متزامنة ومتوافقة مع الوحدات البرية لذا وضعت كافة الطائرات الموجودة في تبريز (٧ من طراز هاينه، و٢ من طراز تايجرموس) تحت تصرف قائد الفرقة الرابعة لكن طول المسافة أخر هذه العملية الى درجة كبيرة. كما أن النتائج لم تكن مما يثلج الصدور لذا أرادت القيادة إقامة مطار في أورميه على الفور. فقد كان ذلك يمكّن الطائرات المنطلقة من المطار الجديد من إستطلاع ساحة المعركة خلال ١٥ دقيقة وتقديم تقاريرها التي تضم المعلومات الضرورية. وبدأ العمل بهذا القرار والمقترح على الفور وتم إعداد مطار على مسافة ثمانين كيلومترات شمال شرق أورميه بين قرى (لالو، تاج علي، جارجي لو) ووصلت الطائرات أورميه في ١٤ آذار.

تزامناً حركة وحدة العقيد نساري بإتجاه موانا، نشرت الفرقة الرابعة منشورات على كافة القبائل الحدودية تدعوها الى إلتزام جانب الدولة وطاعتها خلال حركة الوحدة المذكورة. ومن جهته كان ملا مصطفى يبذل كل مجهود لتحرير عشائر هركي وشكاك على التصدي لتلك الوحدة ومنع قوات الدولة من بلوغ موانا الأمر ما أدى الى إرسال مجموعة من مسلحي العشائر الى مرتفعات (قرلبند - لرني) على طريق الوحدة المتجهة نحو موانا.

### آخر رسالة من قائد الفرقة الى البارزانيين

كان قائد الفرقة على اطلاع تام بما ذكرنا، فوجه في ١٤ آذار رسالة الى الشيخ أحمد وبقية الزعماء البارزانيين، هذا مضمونها:

« كان مقرراً أن يتوجه ملا مصطفى من منطقة مرگور الى نغده لإجراء محادثات لكنه لم يأت حتى الآن، وبهذا تكونون قد خالفتن

العهد وبدلاً من نقل عائلاتكم الى الحدود بالتدريج فقد توجهتم بها نحو (محال دشت و ترگور و مرگور). لذا نعلمكم أن استمرار هذا الوضع سيعود عليكم بنتائج وخيمة. ومن الأفضل لكم التوقف عن ذلك والاسراع في إخلاء أشنويه بموجب أمر سابق اصدرناه.»

وفي مساء اليوم نفسه جاء رد الشيخ أحمد برسالة على النحو الآتي:  
«سيستم خلال أيام اخلاء أشنويه، كما أننا لم نأت ما يخالف تعهداتنا وكل ما يقال في هذا الصدد ليس صحيحاً وإنما هو لتحريض عشائر المنطقة الساخطة على الأوضاع الحالية.»

كان قصد البارزانيين ومماطلتهم بمختلف الحجج الوصول في أقرب فرصة الى كرد شاپور والإتصال بهم، وكان هؤلاء مسلحين، ليحصلوا على مساعدتهم في الوصول الى الكرد الذين يقطنون مناطق شمال غرب الحدود التركبية كعشائر (جلالي) و(ميلان) وكان الهدف من كل هذا توحيد صفوف هؤلاء للوقوف معاً في وجه قوات الدولة في مناطقهم وخلق مشاكل جديدة للقوات الحكومية على الحدود كما كانوا قد اتصلوا مع الديمقراطيين الهاريين الى الإتحاد السوفييتي ويعزفون على وتر جديد في الشمال.

كان يوجد بين صفوف البارزانيين ضباط إيرانيون هاريون وضباط عراقيون وعدد من الضباط الآشوريين والأرمن ولكل هؤلاء ارتباطات مباشرة مع مسؤولين في الخارج، والى جانب ذلك كان هؤلاء على دراية تامة بالظروف الجغرافية والمواقع وعادات وطبائع العشائر المسلحة على الحدود الغربية لإيران، ومن خلال هؤلاء كانوا يريدون تنفيذ خطتهم الرامية الى تجزئة غرب إيران واقامة حكم ذاتي في تلك المنطقة خاضع لسيطرتهم.

السبب الرئيس وراء توجه البارزانيين شمالاً هو إدراكهم من خلال التجربة العملية في مناطق الجنوب (أشنويه وخانه ومهاباد) أنه لم يعد بإمكانهم السيطرة على تلك المناطق واقامة حكمهم فيها الأمر الذي اضطرهم الى التوجه شمالاً سعياً وراء تعاون العشائر المسلحة: جلالي وميلان وهركي وشكاك، وزيرو وطه بگ لتحقيق مآهم وإذا فشلوا في تحقيق هذا الهدف فإنهم سيعبرون الحدود الشمالية ويدجأون الى الإتحاد السوفييتي حيث يكونون بمنأى من العقاب والثأر.